شعاع من التنزيل

بقلم : الاستاذ احمد العناني

يظل موضوعي هذا موضوعا خاصا ، مهما تمنيت ان يكون عامـا . . فلقد طالما تمنى المؤمنون بالله ، وكتبه لو شوطروا حلاوة ما يحسّون به رائعـا مسعدا من آيات الله . . ولكن الهنا الواحد أعلم بما خلق ، وبمن خلق ، وهو قد وصف كتابه الكريم بأنه هدى للمتقين المؤمنين بالغيب الذين تقشعرّ جلودهم اذا ذكروا يوما لا ينفع فيه الا صالح عمـل ، يوما تتقطع فيه الارحام ولا يسأل حميم حميا ، وانما تعنو الوجوه للحيّ القيوم ، ويخيب من حمل الظلم واشاح استكبارا وسفاها عن درب النور .

كلامي هذا عن القرآن . . عن نظرات فيه لم تربط بتفسير مفسّر ولا اتجاه لباحث من قبل . وانه لمن حقي وحقك ، وحق الناس اجمعين ان يعيدوا في هذا الكتـاب النظر ، وان يتدبّروا معانيه ، وان يتمتعوا بجنى الروضة الربانيـة ما شاء لهم الاقبـال بفضل الله عليها ، وما اجزلت لهم النعمة بالمتعة المثلى بين ظلالها وانسامها ، وسلسال ينابيعها . . .

وليس القول في الكلام عن القرآن هذا حديث ديني بالقول العـادل ولا الصائب ، فالقرآن لاهله حياة من السعادة حين يسعدون ، ومع الخشية حين يخشون ، ومع الأمـل حين يأملون . . ومن عرف القرآن أحبه ثم عشقه عشق الجبل الطهور ، ثم كان له حيـاة احلى من الحياة ، وصيانة أقوى من المال والولد والاهل والجـاه ، وبلسما لا تفني عنـه العقاقير والمشافي .

القرآن هذا الحديث الذي القي به على قلب رجل كريم فاعاده فتلقفته في بضعات من السنين الشفاه . كم مرة قرىء بـل كم ملايين مرة . . كم تلي ودرّس ، وشرح وأعيد ، كم

عدّدت حروفه ونقطـه وسوره ، وحركاته ومداته ومفرداته ، كم نسخ وخطط وترجم وطبع ، كم حفظ ونودي به على المنائر والمنابر ، واقتبس منه واستشهد به ونشر وعلـّم كم اعمار فنيت له ومن اجله وفي العمل فيه وبه . . كم معجب ما زاد في بهـائه وغائص لم يصل الى اغواره ، وكاره ارتد حطيم القرون على منيع حصونه . وكم عالم ايد به علمـه ، وباحث انتفع به لبحثه ، ورائد اخذ منه ما لم يسبقه سواه لمثله ومرتاد لأمر ما عرف من قبله ... وكلهم .. كل الناس يجدون من هذا العطاء عطاء ، ومن الينبوع شرابا ، وفي البحر الزاخر صيداً .

في مسيرة مع العصور له قصة من الجد والحق ليس مثلهـا قصة . . أطلق المؤمنين به وحفاظه في اقل من ثلاثين سنة في مشارق الأرض ومغاربها التي عرفت الحضارة في سابع قرن بعد مولد السيد المسيح في اروع انتصار اذا صحّ ان يقارن به انتصار او فتح قبله او بعده .. فاذا الحضارات حضارة واحدة . واذا الشريعة شريعة واحدة . واذا العـــدالة عدالة واحدة ، وللمرة الوحيدة في التاريخ يسافر المسافر من الصين الى قلب اوروبا ليرى عالما واحدا تساوت فيه انسانية الناس ، وانتظمهم في الارض قانون من السماء وتمثلت فيهم ارادة الله مرحمة للضعيف ، وكرامة لكل فرد ، وهزيمة ساحقة لكل قوى الظـــلام ، وسقوطا مبيرا لعالم الاوهام ، وهتافا مجلجلا الله اكبر . . . . . .

وجاء جيل من الناس يسائل عن اسرار الاعجاز ، ويبحث عن مواطن الشعاع .... يقلبون النظر في الاساليب ، ويتدبرون الافكار ولا يصلون في ذلك الى غاية او نهاية ويتلو جيل جيلا .... حتى الاجيال التي ارتكسته بتفرق كلمتها على مهاوي الانانية والشهوات وجدت كثرة من ابنائها عزاء ونجاة في مجرد ترديد الايات . وغنــــاء المقاطع والمدات ، وتوحدت وجدانا بعد ان ضاعت عملا وفكراً ... ثم جاء هذا الجيل في هذا الزمـان ... فمن مأخوذ بالصور الحسان عن مواعد الجنان ، مبهور بفداحة الرهبة من مشاهد الحساب والرعب ، الى واقف منذهل عند ايماءات العـلم في اقصى امتداداته ، والطب في احدث مستكشفاته . . . وتعال معي ايها القارىء العزيز . . . .

في احدى الحواميم يقول جل وعلا انه يستنسخ اعمالنا الدنيوية فماذا يعني القـول بان صورة كامله من حياتنا تعـاد فتعيد الاصل منها كما تفعل نسخة الكتاب من الكتاب ...

ثم هذه شهادة جلودنا وايدينا وارجلنا علينا .. شهادة كاملة لا ضلال فيها ولا نسيان ، بل ولا مثقـال ذرة إلا ويرى ، ولا زنة حبـة خردل الا ويؤتى بهـا ولو في صخرة او في

السماوات او في الارض . كان الناس يقرأون هذا قبل ثلاثة عشر قرنا حيث لا توجـــد الناسخات ولا الات التصوير وادوات التسجيل فيخشعون وتنخلع قلوبهم، فكيف وحركة العقل على الازمـان قربت الصورة فصرنا وكانما نلمس حساً وعياناً كيف تكون صور من صور التسجيل الذي لا يعقب صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ؟ –

وبين آية وآية مترافقتان في التنزيل ارتباط خفي حكيم بالغ الجمال كامل المنطق بعيد التسلسل قد يظنه الجاهـل انفصالا كل الانفصال وفي ورود الاسمـاء الحسنى في كل سياق اعجاز ، وقع كل مجهود في البحث المتدبر مع الخيال المجنح غرائب وعجائب تستكشف في كل يوم .... واذا قصرنا عن رؤية شيء فالعيب في قصورنا او تأخر زماننـا عن زمان القدرة على الكشف ....

نظرة الحياة وميلاد الربيع وبهجة النخيل بالطلع النضيد ، وهيئة الطبيعة في تبرجهـا العف الفتان .... ذلك كله يمس الضمير الغافل المكابر مسا رقيقا ليذكره بان الحيـاة التي تتجدد في الارض بعد موتها يمكن بنفس البساطة ان تجدد يوم النشور ... وبعد هـذا المطلب من سورة (ق) تجيء صورة الوعيد والحشر والنشر، فكأنما لا يقرأ المرء حروفا وانما يسمع حشرجة روح احست بعد طول غفلة بصحوة الحقيقة التي لا مرد لهـــا ، ولا مهرب من مسؤوليتها .....

ام ترى هناك نقد يمكن ان يصل مع النبل الاسمى ، وشرف التعبير الاعلى مثل قوله تعالى : – وضرب لنـا مثلا ونسي خلقـه ، خمس كلمات مثقلات باقسى توبيخ للصم البكم المكابرين في الحشر والنشر لو اجتمع الناس جميعا ، وكان بعضهم لبعض ظهيرا ما استطاعوا لمثلها سبيلا ... وقد يكون التوبيخ بلفظتين موحيا باصوات الحروف بما لا توحي به المعاني البكر كما في سورة النجم حيث يوبخ اصحاب العقول السفاه المتحدثون عن الملائكة بانهم اناث فيقول الله جل وعلا في قسمه الذكور والاناث هذه بغير عقـل ولا هـدى ولا دليل « تلك اذا قسمة ضيزى » .

وفي سورة الفجر تصور الكلمات رعب الحشر وفداحـة الموقف على اهـل الكفر ، ومن ذلك وسط ذلك الضجيج الصخاب ينادي بسلام ، بلحن هادىء مسكن الروع على اهل اليمين يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعي الى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ... تصوروا سرعة الالفاظ في «صفاً صفاً » وهدوءها المسالم في الحديث الى النفس المطمئنة .. من مقطعين في « صفا » الى خمسة مقاطع في المطمئنة أقرب من ذلك

ان شئت غموض الالفاظ الجانحة الى التعقيد فيتعويذة « الفلق » لتصور حركة جنود الشر الغامضين المعقدين المتآمرين تحت تلافيق الظلام .. او في تعويذة « الناس » حيث السين المهموسة المتلاحقة تصور التسرب الخفي للأبالسة الموسوسة في صدور الناس ...

يكتب احد المفسرين تسعين صفحة من القطع الكبير من « الفاتحة » وهي سبع آيات ، وكأني احس بالاطالة فانقطع ، وكان مستطيعاً لو شاء ان يكتب الف صفحة عن اسرار الفاتحة ولا ينتهي عند غاية .

وسائلوا العلم الحديث بعد عن الظلمات الثلاث التي يجتازها بجنين من كل نفس مخلوقة من « مستقر » ومستودع ومن نطفة مخلقة بين ملايين غير مخلقة .

اما بعد ايها المسلمون ، فالقرآن رحمة انزلها الله للعالمين ... فمتى تقرأونه والاعمال صالحة والاذهان نيرة ، والقلوب على ارضاء الله حريصة صادقة .

ويقول لك قائلون « حديث ديني عن القرآن » كانما هم في غير حاجة اليه ومئات الملايين في عشرات الاجيال لم تصل بعد الا الى ظاهر من اسراره واعجازه والحمد لله على وعد الله يحفظ هذا الذكر الحكيم الذي انزله رحمة للناس والا لكان للكثيرين مع الفهم عمل لا يطاق ... الحمد لله ...

صدر حديثاً كتاب ..

في سبيل القدس

وصل الى ادارة المجلة نسخة من كتاب « في سبيل القدس » هديةمشكورة من اللواء ممن ابو نوار .

وقد احسن اللواء صنعاً في اخراج هذا الكتاب ونشره في هذه الآونة من حياتنا لكشف الستار عن بطولاتنا الحديثة التي هي امتداد لبطولاتنا عبر التاريخ .

والكتاب وثيقة عسكرية قيمة جديرة بالتقدير ، تقدم لجيلنا قصة البطولة التي سطرت بدم الشهداء الزكي ، إنها قصة كتيبة الحسين الثانية في جهادها وتضحياتها . قصة رجالها الابطال الذين قاتلوفي القدس قتال الايمان والشرف والشجاعة .

يقع الكتاب في مائة وخمس وثمانين صفحة في طباعة رائعة وتنسيق جيد وورق مصقول حلي غلافه بصورة مدينة القدس الخالدة ، بلون أصفر اشعرني بحالة القدس الباهتة في ظل الاحتلال البغيض . وقد سطر اسم الكتاب في وسط الصورة بالخط الاحمر الذي يشعر بواجب بذل الدم في سبيلها .